97 - ـ فصل : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا .

من أظرف الأشياء إفاقة المحتضر عند موته فإن ينتبه إنتباها لا يوصف و يقلق قلقا لا يحد و يتلهف على زمانه الماضي .

و يود لو ترك كي يتدارك ما فاته و يصدق في توبته على مقدار يقينه بالموت و يكاد يقتل نفسه قبل موتها بالأسف .

و لو وجدت ذرة من تلك الأحوال في أوان العافية حصل كل مقصود من العمل بالتقوى .

فالعاقل من مثل تلك الساعة و عمل بمقتضى ذلك .

فإن لم يتهيأ تصوير ذلك على حقيقته تخايله على قدر يقظته .

فإنه يكف كف الهوى و يبعث على الجد .

فأما من كانت تلك الساعة نصب عينيه كان كالأسير لها .

كما روي عن حبيب العجمي إنه كان إذا أصبح يقول لإمرأته : إذا مت اليوم ففلان يغسلني و فلان يحملني .

و قال معروف لرجل صل بنا الظهر فقال : إن صليت بكم الظهر لم أصل بكم العصر .

فقال : و كأنك تؤمل أن تعيش إلى العصر نعوز با من طول الأمل .

و ذكر رجل رجلا بين يديه بغيبة فجعل معروف يقول له : أذكر القطن إذا و ضعوه على عينيك